

خصومات أدبية ! للأستاذ توفيق الحكيم

من كان يتصور أن دعوتى إلى الصفاء بين الأدباء تشير خصومات أو ذكريات عن خصومات ! فلقد كتب الأستاذ « عباس محمود العقاد » فى العدد الماضى من « الرسالة » قصة طريقة أمهاها إلى . هى الآتية :

« قيل إن الدكتور طه حسين خرج من وظيفته بالجامعة المصرية قبل سنوات . وقيل أنه أتى على الأستاذ توفيق الحكيم فى بعض ما كتب وهو على جفوة مع رؤساء تلك الأيام . وقيل إن الأستاذ توفيق أشفق من منية تلك الجفوة فكتب يقول إنه لا يريد مدحاً من أحد ... وأدرك شهر زاد الصباح أو المساء على قصة أخرى تمثل اليوم مع العقاد لأن خصومته قد تشبه خصومة الدكتور طه حسين قبل سنوات ... »

والتعليق على هذه القصة الطريقة لا يحتاج إلى عناء . لأن الأساس الذى بنيت عليه وهو شبهة الخصومة بينى وبين العقاد قد انهار فى اليوم ذاته الذى ظهر فيه مقاله . فقد طلع لحسن الحظ عدد مجلة الثقافة فى مساء ذلك النهار وفيه تحية منى للعقاد وتناء على كتابه « عبقرية محمد » بما هو أهله

يضاف إلى ما تقدم أن « ما يدريه المارفون وأوشك أن يدريه غير المارفين » هو أن موقفى اليوم يشبه فى كثير من الوجوه موقف العقاد . وأن من بين المجالات والصحف والأعلام ما يعلن تجريحى وخصومتى بمختلف الأسباب لمين الأغراض . بقى بعد ذلك عنصر واحد من عناصر القصة سكبت طويلاً عن تجليته ظناً منى أنه لن يؤخذ على سبيل الجد . أما وقد أخذه الأستاذ العقاد على أنه حقيقة ، فن الواجب إذن أن أوضح ولو كان فى الإيضاح إسامة للدكتور طه . فإن هذا الوقت هو أحب الأوقات عندى لإسامة لا لإرضائه

إن حقيقة الخصومة بينى وبين طه حسين فى تلك الأيام من عام ١٩٣٤ كانت خصومة أدبية صرف ، ولكن الدكتور طه أراد أن يحتم فيها عنصر السياسة ليظهرنى فى صورة « يهودا » ويظهر نفسه فى صورة « المسيح » . فاخترع تلك القصة اختراعاً

ولكن الحقيقة ما لبثت أن ظهرت فى اليوم التالى واضحة مينة إلى هنا ينتهى التعليق على هذه القصة . ولكن هنالك قصة أخرى للأستاذ العقاد مهداة إلى أيضاً ، وربما احتاجت إلى تعليق طويل لأنها تمس قضية أدبية تحدث فى جميع الآداب فى كل زمان . تلك هى قضية النقاد والكتاب . فقد ذكر الأستاذ العقاد إلى أنكر أن الدكتور طه حسين رفع من شأنى بما كتب عنى . وأنا حقاً أنكر ذلك كل الإنكار ومن يحرص على كرامة الفن لا يسهه أن يقول غير هذا القول . فإنا من مخلوق على الأرض يرفع أو يخفض من شأنى غير فنى ولما ترجم هذا الفن أو بعضه إلى لغات أجنبية وجد من أعلام قادهما من يرفع شأنه كما وجد فى اللغة مربية طه وأمثاله . فالقن هو الذى يكرم نفسه أو يمتنها فى كل مكان وزمان يحمل فيها . حقاً أن طه حسين استقبل كتاب أهل الكهف استقبلاً رائعاً ، لكن لا ينبغي أن ننسى غيره . فمراجعة تاريخ الحوادث تبضح أن أول من توه بالكتاب تنويعاً جيلاً كان الشيخ مصطفى عبد الرازق ثم الأستاذ المازنى ثم الأستاذ العقاد على هذا الترتيب . ولعل العقاد قد أشار فى قدمه إلى انتفاع بعض المؤلفين الأوربيين بمجهر الأسطورة ونقى عن « أهل الكهف » تهمة الاقتباس أو النقل عن الأجانب وأظنه فضلها من حيث طريقة التصرف على ما قرأ فى بعض اللغات عن فكرة القصة . فلما اطمان طه حسين إلى آراء هؤلاء أقبل فصاح صيحته المشهورة كأنها صيحة « يوحنا الممدان » وهو يشير بالمسيح . فقد قال بهذا النص : « أما قصة الكهف » لحادث ذو خطر ، لا أقول فى الأدب العربى العصري وحده . بل أقول فى الأدب العربى كله . وأقول هنا فى غير تحفظ ولا احتياط . وأقول هنا مقتبطاً به مبهجاً له . وأى عيب للأدب العربى لا يشتبط ولا ينتهج حين يستطيع أن يقول وهو واثق بما يقول أن فناً جديداً قد نشأ فيه وأضيف إليه . وإن باباً جديداً قد فتح للكتاب وأصبحوا قادرين على أن يلجوه وينتهوا منه إلى آمل بعبدة رفيعة ما كنا نقدر أنهم يستطيعون أن يفكروا فيها الآن . نعم هذه القصة حادث ذو خطر يؤرخ فى الأدب العربى عصرأ جديداً . . . ويمكن أن يقال إنها أغنت الأدب العربى وأضافت إليه ثروة لم تكن له . ويمكن أن يقال إنها

يؤدي واجب النقد والفن وحدهما ، فلم يكن قد رآني وما كنت قد رأيته ، وما كان تصادم الطبع والخصال قد لعب دوراً في تقدير الأمور ، وسواء كان طه غطثاً أو مصيباً في رأيي الذي أبداه ، فهذا ليس من شأني ولا من شأن الأشخاص ، إنما هو من شأن النقاد ورجال الجامعة والباحثين من هذا العصر وما بعده ممن يعنون بتمحيص مذهب أستاذ من أساتذة النقد والأدب . على أنني إذا تفرغت للنقد يوماً ، فإني أرجو أن أؤدي واجبي بمثل هذه الحرارة والأمانة والقوة نحواً نأطره وغيره من الأدباء ؛ وإذا تحقق أمني وأقت في أوروبا بعد الحرب ، فسوف يكون من شأني القيام بهذا العمل نحو هذه الآثار في تلك البلاد .

إلى هنا ينتهي ما بيني وبين طه حسين ، إذا كانت شؤون الأدب والفن هي حقاً ملك البحث والدرس والزمن والوطن لا ملك الأشخاص

أما مشاعري الخاصة كانسان نحو الدكتور طه ، فليس الظرف اليوم مواتياً للأطناب في وصفها ، وسأختار الزمان والمكان الملائمين للإفاضة بها دون أن يحمل فطلي على غير عمله وأخيراً ، أوجه خطابي إلى الأستاذ المقاد قائلًا :

« إنك للمرة الأولى تخاطبني بهذه الفحجة التي كنت تخاطب بها « الرافعي » رحمه الله ! »

أبهذه السرعة تضع الناس في صف أعدائك ؟ لعلك لفرط ما قاسيت من شر الناس ، ولقلة ما وجدت من خيرهم ، أصبحت مثل « هملت » : تستل سيفك لتضرب من خلف الأستار دون تبين الوجه . فطمنت صديقاً وأنت لا تدري

نوفيس الحكيم

طه كاتب

ملاحم المجتمع العربي

ومنه ١٥ قرشاً

قد رفعت من شأن الأدب العربي وأناحت له أن يثبت للأدب الأجنبية الحديثة والتديعة ... بل يمكن أن يقال إن الذين يحبون الأدب الخالص من نقاد أجنب يستطيعون أن يقرأوها إن ترجمت لهم ، فيسجدون فيها لقوة قوية ، ويجدون فيها متاعاً خصباً وسيثون عليها ثناءً عذباً كهذا الذي يخلصون به التمسك التمثيلية البارة التي ينشئها كبار الكتاب الأوربيين « وكان لتلك الكلمة أثر قوى ذو دوى لأن طه حسين وضع الأمر كما رأينا في صيغة التقرير بمذهب جديد . كأنه « سانت بوف » يعلن أمر المذهب الرومانيكي عند ظهور تمثيلات « هوجو » !! ولتسلم بأن طه حسين هو الشهيد الأول بشأن أهل الكهف ومؤلفها . فهل هذا حدث جديد في تاريخ الأدب ؟ ألم يصح مثل هذه الصيغة « تورجنيف » عند ما استقبل أول أعمال « تولستوي » قائلًا : « ظهر كاتب روسيا الأعظم ! » ولم يفعل مثل ذلك « أرنولد بنيت » عند ما أشاد بقصة « الدس ها كسلي » بقوله : « هذا كاتب يلحق مباشرة بقصاصي روسيا العظام ! » أو لم يصنع هذا « أناتول فرانس » بذكرات ماري باسكريف « عند ما أعلن أنها أثر خالد للإنسانية ! فإذا هذه الأعمال قد ظهرت ومؤلفوها قد برزوا للعالم بين يوم وليلة . هل استلزم ذلك التحميل بأعمال الديون والتكبير بمجال الجليل نحو أشخاص النقاد ؟ أو أن الأمر لا يعدو في تلك البلاد أن نأقداً أدى واجبه بأمانة وإخلاص ، لا نحو شخص من الأشخاص ولكن نحو آداب وطنه وفن بلاده ؟ لم نسمع في غير مصر أن الناقد إذا أثني على كتاب حسب أنه تفضل على مؤلفه ورفع شأنه من الخفيض . وإن على المؤلف واجباً مقدساً هو أن يشتري من فوره سبحة كيلا ينسى أن يسبح بحمد الناقد أثناء الليل وأطراف النهار . شأنه شأن القاضي الذي يصدر حكماً ينقل أحد المتقاضين من الفقر إلى الثنى . فيظل طول حياته يقول في مجالسه ... أنا الذي أغنيت فلاناً وقلته من حال إلى حال وخلقته هذا الخلق الجديد . وينسى أنه كان مظهراً لحن هذا الفلان لا أكثر ولا أقل . اللهم أن في هذا لأهداراً لكرامة العدالة وكرامة الفن !

ولكن من الإنصاف أن أقول : إني لا أشك في أن طه حسين في أول الأمر كان يصدر حقاً عن عقيدة الناقد الذي